

هيمنة الميديا بيار بورديو انموذجا

The hegemony of the media, Pierre Berdio as a model ,
L'hégémonie des médias, Pierre Berdio comme modèle

بوعائشة وردة¹*

تاريخ الإرسال: 2022/ 6/15 تاريخ القبول: 2022/08/18 تاريخ النشر: 2023/06/01

ملخص:

لقد فرضت الميديا بمختلف انواعها هيمنتها وسيطرتها علي الانسان المعاصر فاضحت بذلك موضوع اعلامي فلسفي بامتياز وتتجلى خاصتا من خلال الصورة بمختلف انواعها فلم يعد امام الانسان المعاصر الا الانبهار بكل ما ينتج عنها لهذا يهدف المقال الي تسليط الضوء علي مختلف انواع الهيمنة الممارسة علي الانسان المعاصر والانتقادات الموجهة من قبل بيار بورديو ولهذا تم الاعتماد علي منهج تحليلي نقدي من جهة تبسيط الافكار الفلسفية والنقد البناء لهذا الطرح ونخلص من خلال هذه الورقة الي ضرورة الانتباه لمخاطر الميديا علي المجتمع من خلل الاستغلال الواضح للمجتمع الليبرالي وجعل الانسان سلعة قابلة للاستهلاك .

الكلمات المفتاحية: الهيمنة ؛ التلفزيون ؛ السينما ؛ الصورة

Abstract :

The media, of all kinds, imposed their hegemony and control over contemporary man, thus exposing a media philosophical issue par excellence, and it manifests itself especially through the image of its various kinds. The contemporary man has no choice but to be fascinated by all that results from it. This is why the article aims to shed light on the various types of hegemony exercised on contemporary man and the criticism directed By Pierre Bourdieu, and for this reason, a critical analytical approach was relied on in terms of simplifying philosophical ideas and constructive criticism of this proposition. We conclude through this paper the need to pay attention to the dangers of the tide on society through the clear exploitation of the liberal society and making man a consumable commodity.

Keywords: dominance; television ; cinema

Résumé :

Les médias, de toutes sortes, ont imposé leur hégémonie et leur emprise sur l'homme contemporain, exposant ainsi un enjeu philosophique médiatique par excellence, et il se manifeste surtout à travers l'image de ses diverses sortes. L'homme contemporain n'a d'autre choix que d'être fasciné par tous C'est pourquoi l'article vise à éclairer les différents types d'hégémonie exercés sur l'homme contemporain et la critique dirigée par Pierre Bourdieu, et pour cette raison, une approche analytique critique a été retenue en termes de simplification des idées philosophiques. et la critique constructive de cette proposition. Nous concluons à travers cet article la nécessité de prêter attention

aux dangers de la marée sur la société à travers l'exploitation manifeste de la société libérale et de faire de l'homme une marchandise consommable.

Mots clés : dominance ; télévision ; cinéma .

مقدمة

لقد فرضت الصورة هيمنتها في عصرنا الراهن حتى بات هذا الأخير يعرف بعصر الصورة، لتكون بذلك أهم الوسائط المعرفية، الثقافية، السياسية، الإعلامية وحتى الاقتصادية، ولقد ساهم في ذلك التطور التكنولوجي الهائل مما أدى إلى ظهور الصورة الرقمية كأقصى حد لهذا التطور، لتحدث ثورة في التواصل الاجتماعي عبر الرسائل والصورة.

مما جعل العلاقة بينها وبين المتلقي تحكمها الهيمنة والتبعية التي تتفاوت من شخص إلى آخر. وعليه فعلاقة الهيمنة المشار إليها لم تتشكل من فراغ، بل إنها تستند إلى مقارنة وظيفية لدور وسائل الإعلام في حياة الأفراد والمجتمع في الوقت الراهن: فهي من دون منازع مصدر للمعلومات والأخبار، كما أنها تساعد على الاندماج الاجتماعي داخل البيئة الاجتماعية.

لا شك في أن العلاقة بوسائل الإعلام، أصبحت عضوية، ولكن المهيمن على هذه العلاقة العضوية التأثيرات السلبية لوسائل الإعلام، حتى أنها أصبحت ضد وظائفها المعروفة.

فوسائل الإعلام أضحت أدوات للهيمنة السياسية والأيدولوجية والاقتصادية والاجتماعية. والعلاقات بين وسائل الإعلام بعيدة عن التعاون والتنافس، وأقرب ما تكون إلى الصراع صراع من أجل احتكار المعنى والصورة والرمز وهذا ما دفع بيار بورديو إلى تناول هذه المشكلة وهي كيف تهيمن وسائل الاعلام اليوم علي الجمهور ؟ وهل تصبح اللغة والصورة وسيلة من وسائل السيطرة علي المتلقي؟ كيف ذلك ؟

1- هيمنة التلفزيون

وهو ما نجده مؤكداً عند «بيار بورديو» Pierre Bourdieu في نقده لوسائطية الميديا في إطار نقده لليبرالية الجديدة ونتائجها على الإنسانية، وقد بين من خلال فلسفة الدور السلي الذي تلعبه وسائل الإعلام والميديا الجديدة .

وهذا الطرح نجده في كتابه "التلفاز والتلاعب بالعقول"، والذي يحلل فيه حالة الميديا ويسعى إلى إظهار تأثيرات شاشة التلفزيون وما تنتجه من برامج وصور بعيدة عن أي موضوعية و تعكس رؤية للعالم غير محايدة سياسياً، تعرض «بيار بورديو» لهجوم حاد من الحلقات الصغيرة لكهنة الميديا في الصحف وقنوات التلفزيون على حد تعبيره (برديو، 2004، صفحة 15) وعليه فإن التحول الجديد الذي طرأ خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين وحتى الآن هو انفراد ما يمكن

أن نسميه بالأيديولوجيا الناعمة بموقع الصدارة في وسائل الإعلام المختلفة. وتتمثل هذه "الأيديولوجيا الناعمة" "idéologie soft" في تلك الجرعات اليومية بل اللحظية التي تبثها وسائل الإعلام الحديثة، وكذلك الوسائط المتعددة Multimedia، وانتشار شبكة الأنترنت على المستوى العالمي، هذه الجرعات تتغلغل وتنساب إلى عقول المشاهدين، القراء، المستمعين، مستخدمي الوسائط المتعددة والأنترنت بهدوء و بلا ضجيج على عكس ما كان يتم في السابق. (برديو، 2004، صفحة 15) وعند «بيار بورديو» هنالك من يملكون وسائل الإنتاج وأدوات السيطرة والتحكم من ناحية، ومن ناحية أخرى هناك دائماً أولئك الذين يخضعون لشروط هذه السيطرة ويسعون للتحرر منها. وإذا كنا قد دخلنا في مرحلة جديدة من مراحل تطور المجتمع، تلك التي يطلق عليها اسم "مجتمع المعلومات" (برديو، 2004، صفحة 26) وهو ما نجده مؤكداً عند «بيار بورديو» Pierre Bourdieu في نقده لوسائطية الميديا في إطار نقده لليبرالية الجديدة ونتائجها على الإنسانية، وقد بين من خلال فلسفة الدور السلبي الذي تلعبه وسائل الإعلام و الميديا الجديدة. وهذا الطرح نجده في كتابه "التلفاز والتلاعب بالعقول"، والذي يحلل فيه حالة الميديا ويسعى إلى إظهار تأثيرات شاشة التلفزيون وما تنتجه من برامج وصور بعيدة عن أي موضوعية و تعكس رؤية للعالم غير محايدة سياسياً، تعرض «بيار بورديو» لهجوم حاد من الحلقات الصغيرة لكهنة الميديا في الصحف وقنوات التلفزيون على حد تعبيره (برديو، 2004، صفحة 15) وعليه فإن التحول الجديد الذي طرأ خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين وحتى الآن هو انفراد ما يمكن أن نسميه بالأيديولوجيا الناعمة بموقع الصدارة في وسائل الإعلام المختلفة. وتتمثل هذه "الأيديولوجيا الناعمة" "idéologie soft" في تلك الجرعات اليومية بل اللحظية التي تبثها وسائل الإعلام الحديثة، وكذلك الوسائط المتعددة Multimedia، وانتشار شبكة الأنترنت على المستوى العالمي، هذه الجرعات تتغلغل وتنساب إلى عقول المشاهدين، القراء، المستمعين، مستخدمي الوسائط المتعددة والأنترنت بهدوء و بلا ضجيج على عكس ما كان يتم في السابق (برديو، 2004، صفحة 15) وعند «بيار بورديو» هنالك من يملكون وسائل الإنتاج وأدوات السيطرة والتحكم من ناحية، ومن ناحية أخرى هناك دائماً أولئك الذين يخضعون لشروط هذه السيطرة ويسعون للتحرر منها. وإذا كنا قد دخلنا في مرحلة جديدة من مراحل تطور المجتمع، تلك التي يطلق عليها اسم "مجتمع المعلومات". (برديو، 2004، صفحة 26) ونشير هنا إلى «يورغن هابرماس» الذي يرى أن الانسان يكون في حالة اغتراب بسبب التكنولوجيا، وذلك بسبب السيطرة الناعمة للتقنية والعلم بوصفها أيديولوجيا (هابرماس، 2003، صفحة 89) حيث يقول: "التلفزيون هو الذي يحكم الواقع". (herpin, 1973, p. 156) وبضيف: "الاعلام المعول يحكم الوجود الاجتماعي ويحوله (Habermas, 1981، صفحة 115) من هنا يؤكد «هابرماس» على الدور الكبير لوسائل الإعلام في المجال العام، إذ تقوم وسائل الإعلام بدور مزدوج، فهي تقوم بإتاحة الفرصة للأفراد للتعبير عن الرأي و الحوار، لكنها أيضاً تنقل رأي السلطة وتوجهاتها للمواطنين، إن دور وسائل الإعلام التقليدية (التلفزيون،

الاذاعة، الصحف، المجالات) في الديمقراطية الحديثة، حيث أصبحت الأيديولوجيا السائدة في الحياة الإعلامية الحديثة، ومع ذلك فالفجوات بين الأيديولوجية والممارسة ظاهرة، لأن دور وسائل الاتصال الجماهيرية في دعم النماذج الديمقراطية لم تلغ وجود المراكز القديمة للمجال العام، فمثلا التلفزيون يبعد الأفراد عن بعضهم حسب «هابرماس». (عامر، 2018، صفحة 182)

1-2 هيمنة الصورة والرمز

يتحدث بيار برديو في هذا العنصر عن فكرة اخفاء الحقائق وتسويتها من قبل التلفزيون إما عن طريق الصورة او عن طريق الكلمة حيث يقوم التلفزيون بعرض اشياء يتم اخفاءها فيقومون بعرضها ولكن بعد تعديلها وتشكيلها بطريقة لا تأخذ معنى الحقيقة علي الاطلاق (برديو، 2004، صفحة 49)، ان الصحفيين يشبهون النظارات الخاصة بواسطتها يرون اشياء ولا يرون اشياء اخرى ، مما انهم يرون اشياء بطريقة معينة انهم يمارسون عملية اختيار ثم عملية اعادة تركيب لذلك تم اختياره (برديو، 2004، صفحة 49) الفكرة التي يتم علي اساسها الاختيار هي البحث عما هو مثير ،عن ذلك الذي يجذب ويدفع للمشاهدة ، يسعى التلفزيون الي دفع الامور نحو اخفاء طابع الدراما وذلك بمعنى مزدوج انه يضع في المشهد في الصورة واقعة او حدث ثم يقوم بالمبالغة في اهميتها في خطورتها وفي صفاتها الدرامية ، ان عالم الصورة تهيمن عليه كلمات غير عادية الصورة لا تعني سيئا دون التفسير المفتاح الذي يقول ذلك الذي يجب ان تتم قراءاته مفتاح التفسير بمعنى في اغلب الاحيان هناك مفسرون يقومون برؤية اي سيئ ان تعين شخص ما في موقع معين هذا يعني ونحن نعلم ذلك جيدا ان هذا الشخص يعرف كيف يشاهدوا عليه ان يبيع في منصبه هذا وان يوفه الي جذب الحضور يمكن للكلمات ان تسبب الدمار والخراب مثل اسلام اسلامي مسلم يقول برديو تحضري احيانا رغبة في اخذ كل كلمة من كلمات مقدمي البرامج التلفزيونية الذين يتحدثون غالبا بخفة ودون ان تكون لديهم اي فكرة عن صعوبة وخطورة ذلك الذي يقدمونه ولا عن المسؤوليات (برديو، 2004، صفحة 50) التي يتحملونها نتيجة لما يقدمونه للألاف من مشاهدي التلفزيون ،دون فهم لما يقدمونه ودون ان يدركوا انهم لا يفهمونه ذلك ان مثل هذه الكلمات تخلق اشياء تخلق تصورات والتخيلات الخادعة تحدث الخوف تأدي الي الهلع والرغبة ببساطة الي تقديم عروض زائفة ، يهتم الصحفيون عادة بما هو استثنائي بذلك الذي يعد استثنائي في نظرهم فهو العادي بالنسبة للآخرين فيصبح خارق للعادة بالنسبة الي هؤلاء الصحفيين او العكس انهم يهتمون بالخارق للعادة ذلك الذي لا صلة له بما هو عادي بذلك الذي لا يعتبر سيي يوميا (برديو، 2004، صفحة 51) هذا الوضع بمثابة اجبار وارغام فطيع ذلك الذي يفرض متابعة السبق المثير حتي يكون اول من يشاهد ومن يدعوا الي المشاهدة كما انه يتم النسخ والنقل بشكل مشترك بنظر الي سبقا لآخرين ان تفعله بشكل مختلف عن الآخرين ،ثم ينتهي الامر بان

يفعل الجميع السيئ نفسه البحث عن السبق المثير ذلك السبق الذي يؤدي في مجالات أخرى إلى التفرد إلى أعمال أصيلة ينتهي به الأمر هنا إلى القولية والابتدال. (برديو، 2004، صفحة 52) وعليه فإن المهيمن على الجمهور مستمرة من خلال الصورة وذلك بإضفاء جوانب لا تكون موجودة أو هي موجودة وتحولها إلى غير عادية أن تحليل الصورة يحتاج إلى لغة وكلمات هذه الأخيرة تعمل على التظليل أكثر فاكتر أن الهيمنة تدفع بالصافي إلى جعل الحث مميزاً وسبق وفي الحقيقة هذا ما يقود إلى القولية والتلاعب بعقول المشاهد والهيمنة عليه. ولقد كان لوسائطية التلفزيون دور كبير في بناء فلسفة ما بعد حداثة، ومن بين الفلاسفة الذين تعرضوا لها بالدراسة والتحليل والنقد نجد الفيلسوف الفرنسي «جان بودريار» Jean Baudrillard، لقد وصف «بودريار» الفترة الخاصة بنهاية القرن العشرين بأنها فترة أصبحت الصور فيها أكثر واقعية من الواقع، لقد تجاوزنا في رأيه الفترة التي كان فيها الإنتاج نسخ و التمثيل يمثلان الجوانب الأكثر أهمية فيما يتعلق بنشاط الصور، وأصبحت هناك صور لا تمثل أصلاً محدداً و ذلك لأنها لا تمثل إلا نفسها (الحמיד، 2005، صفحة 30) وكتب «جان بودريار» يقول أنه فيما يتعلق بالصور المعاصرة إذا كانت هذه الصور تستأثر باهتمامنا فذلك لا يعود إلى أنها بمنزلة مواقع لإنتاج المعنى والتمثيل فهذا لا يعد جديداً ولكن لأنها، على العكس من ذلك هي مواقع للغياب، غياب المعنى والتمثيل هي مواقع تستأثر بنا بعيداً تماماً عن أي أحكام خاصة بالواقع الحالي الذي نعرفه (الحמיד، 2005، صفحة 30)

وقد قال «جان بودريار» وهو أحد أهم منظري الصور في أواخر القرن العشرين، أن المحاكاة أو المماثلة simulation هي الأنموذج الخاص بالتمثيل présentation، فنحن نعيش في ثقافة تسودها تلك الشاشات الوامضة الموجودة في أجهزة الكمبيوتر والتلفزيون وهي ثقافة أصبحت أمريكا فيها الأنموذج الخاص بممارسات النظر أو الرؤية العالمية والتي تتحكم فيها الصور غير ذات الأصل simulacra والخاصة بالصور الافتراضية للوسائط التكنولوجية. (الحמיד، 2005، صفحة 30) وعلى العكس التمثيل الذي يقوم بالإحالة إلى واقع محدد تقف الصور غير ذات الأصل المحدد في ذاتها مكتفية، بذاتها دون حاجة إلى الرجوع إلى موضوعات واقعية، أو عوالم موجودة هنا أو هناك، وبمصطلحات «بودريار» فإن الصور غير ذات الأصل المحدد، إلى حد كبير من خلال أشكال الميديا الجديدة باعتبارها أشكالاً جديدة للوجود ما بعد الحداثي (الحמיד، 2005، صفحة 31)

ويتفق «جان بودريار» مع «بيار بورديو» في اعتبار النظام الرأسمالي يلعب على وتر الحاجات، جاعلاً من الاستهلاك محور حياة البشر ونواتها المركزية التي تتأسس على إثرها المواقع والقناعات، حيث تتكرس التراتبية الاجتماعية الاقتصادية، وتغدو فكرة السعادة، بحسب «جان بودريار» (هي المرجعية المطلقة للمجتمع الاستهلاكي) أو (معادل الخلاص). (بودريار، 1995، صفحة 47) ويكون التمسك بأسس هذا المجتمع ومقولاته، ضماناً للمرء للقبول والاستمرار، وإلاّ تعرض إلى النبذ والإقصاء. فالمرء حر في أن يتحرك وفق مقتضيات المجتمع الاستهلاكي الذي يُخضعه لإكراهات ملزمة، وأن يختار من ضمن

الحدود التي يتيحها ذلك المجتمع، فمن حقه أن تمتلك، ولكن انطلاقاً من اللحظة التي لا يعد فيها أرض للجميع (بودريار، 1995، صفحة 60) ومن حقه أن تعمل، ولكن عندما يصبح العمل، في نطاق تقسيم العمل، سلعة قابلة للتبادل، أي عندما لا يعود ملكاً حقيقياً للأفراد. (بودريار، 1995، صفحة 60) إذ ذاك، يتم تدمير البيئة تحت ضغط الوفرة، وتُحرق احتياطات الإنسان ويُعرض شروط بقائه للخطر من خلال ممارسة لاعقلانية. (بودريار، 1995، صفحة 60) وفي الوقت الذي يخلق فيه المجتمع الاستهلاكي منظومات قيمه، وأنساق علاقاته، وعلاماته، يخلق أساطيره أيضاً.

3- النتائج ومناقشتها

وعليه يمكن مناقشة هذا الطرح من خلال دراسة تتفق مع بيار بورديو حيث استطاعت الصورة الرقمية احتواء، ما صنعه الإنسان من صور قديمة يدوية، من خلال الرسم أو النحت هذا ما خلق نوع جديد من المشاعر، الذوق الفني، وأمام هذا التحول الذي تعرفه الصورة يجد الإنسان المعاصر نفسه في عصر جديد، ألا وهو عصر الشاشة، وهذا الزخم الهائل الذي فرضته التقنية لا يشكل قمة ما وصل إليه الإنسان، ما بعد الحداثي بل لأنها نهايات عصر الفرجة و نهايات الفن. ويتفق «جان بودريار» مع «بيار بورديو» في اعتبار النظام الرأسمالي يلعب على وتر الحاجات، جاعلاً من الاستهلاك محور حياة البشر ونواحيها المركزية التي تتأسس على إثرها المواقع والقناعات، حيث تتكرس التراتبية الاجتماعية الاقتصادية، وتغدو فكرة السعادة، بحسب «جان بودريار» (هي المرجعية المطلقة للمجتمع الاستهلاكي) أو (معادل الخلاص). من هنا فإن الصورة ما بعد الحداثية في نظر «جان بودريار» هي صورة استهلاكية بالدرجة الأولى، لأنها ترتبط بتحقيق الفائدة المادية بدل الجمالية، وعليه لم تعد الصورة ذات بعد فني وجمالي، بل أصبحت سلعة تتداول عبر شاشات التلفزيون ويتحكم فيها أصحاب المال والأعمال، أي أنها أصبحت أكثر ارتباطاً بالجانب الاقتصادي إذ قامت التقنية الحديثة بثورة في عصر الصورة حيث تنقل الإنسان من الصورة المرسومة، المنحوتة إلى الصورة الفوتوغرافية، السينما، التلفزيون والحاسوب.

خاتمة

مما سبق ذكره نصل: قد تناول بيار برديو هيمنة الميديا بوسائطها المختلفة وخاصة التلفاز الذي يجعل من الجمهور مجرد متلقي سلبي بدل ان تكون هناك موضوعية في نقل المعلومة وايصالها للجمهور يعد العصر الراهن عصر الميديا بامتياز، ويتمظهر ذلك من خلال وساطة التلفزيون والسينما، اللذان يعتبران من الوسائل الإعلامية التي عرفت انتشاراً واسعاً، حيث كسر التلفزيون التقنية المشتركة بين المسرح والسينما، وهذا ما جعل الفن ينتقل من مجال الجماليات إلى مجال الكونيات. ومن ثم قد بدأ البصري عند نهاية كذلك فإن الصورة التلفزيونية حظيت في بدايتها بانتقادات شديدة، وذلك لارتباطها بالنظام الليبرالي والعولمة والسياسة، على حد تعبير «بيار برديو» وغيرهم. حيث أصبح التلفزيون وسيلة من وسائل الهيمنة

على العقول، وعلى الجمهور، من كل حافز ومن كل مسؤولية، ويجعل الوسيط السياسي ألا وهو التلفزيون وسيلة للاستعمار بدل الديمقراطية، ومن ثمة أفرغ المجتمع من السياسة، وهذا ما أدى الى غزو الصورة الرقمية كل العالم راهنيا. من هنا فإن المجتمع الاستهلاكي هو مجتمع القطيع، لأنه يخضع لخطاب واحد و يوزع أوهاما على الجميع.

وبالمقابل يحتكر النظام الاستهلاكي قنوات التأثير الإعلامية والثقافية، ليزج بكل شيء في لعبة الاستهلاك، بما في ذلك ما هو روحي وثقافي، وبذلك فإن النتاج الثقافي في هذا المناخ، لا يكون إلاّ سطحياً وعابراً وسريع الزوال، يخاطب الغرائز والانفعالات، فبدلاً من ظهور تيارات وحركات فكرية وأدبية أو فنية تطبع العصر بطابعها، تشيع ثقافة الموضة في الأدب، المسرح، الموسيقى، فن، الرسم والنحت، وما إلى ذلك، حيث الأعمال المقدمة التي تجد رواجاً كبيراً، براقاً، مثيرة ومبهجة، ولكن بلا عمق في الغالب وبلا معنى.

إن ثقافة مثل هذه تحقق غرضين في آن معاً، الأول، هو إضعاف الحس النقدي لدى الجمهور والآخر، إدماج هذا الجمهور من ضمن البعد الواحد للمجتمع الراهن.

وعليه فإن وسائل الإعلام وسائل زائفة تروج إلى أفكار وهمية، وتجعل من المتفرج جمهوراً أو مستهلكاً فارغ من ملكة النقد، ودججه ضمن المجتمع الواحد، إن المتلقي أصبح في حد ذاته سلعة في يد مالك وسائل الإعلام، كما أن لعبة الاستهلاك تجعل من هذا الجمهور سطحي، يتتبع ثقافة الموضة في كل المجالات سواء الأدبية، المسرحية، الموسيقية.

قائمة المراجع:

1. المراجع الأجنبية

- herpin, n. (1973). les sociologues et américains et le siècle. paris: puf.
- Jürgen Habermas. (1981). Théorie de l'agir communicationnel. paris: fayard.

2. المراجع العربية

- بيار برديو. (2004). التلفزيون واليات التلاعب بالعقول. (درويش الحلوجي، المحرر) دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر.
- جان بودريار. (1995). المجتمع الاستهلاكي، دراسة في أساطير النظام الاستهلاكي وتراكييه. (خليل أحمد خليل، المحرر) بيروت لبنان: دار الفكر اللبناني.
- شاعر عبد الحميد. (2005). عصر الصورة السلبية و الايجابيات. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- فتحي حسين عامر. (2018). الصحافة الإلكترونية. الحاضر والمستقبل. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
- يورغن هابرماس. (2003). العلم والتقنية كاديولوجيا. (ترجمة حسن صقر، المحرر) منشورات الجم